

أنا وأنت على الطريق

الأمهات هن المصدر الأول للنزاعات العائلية

هل سمعت صديقتي بأن الأمهات هن المصدر الأول للنزاعات العائلية؟ يبدو هذا الكلام جارحا بالنسبة للنساء لكن تعالي معي نستمع إلى هذا التقرير:

كشفت دراسة جديدة نشرتها صحيفة ديلي إكسبريس أن هناك ما يقرب من ٢٠ مليون بريطاني لا يتحدثون إلى أفراد من أسرهم بسبب نزاعات عائلية وقع القسم الأكبر منها مع الأمهات. ووجدت الدراسة أن اثنين من كل خمسة بريطانيين اعترفوا بأنهم تشاجروا مع أفراد من أسرهم لأسباب يعود غالبيتها إلى إقراض المال والمحسوبية ، وكرهية قريبات شركاء الحياة. وقالت إن معظم الخلافات العائلية تحل في غضون سنة. غير أن واحدا من بين كل خمسة خلافات استمر أكثر من ثلاث سنوات من دون أن يتحدث أفراد الأسرة المعنيون إلى بعضهم البعض. فيما رفض واحد من بين كل عشرة بريطانيين التحدث إلى أفراد أسرته لمدة وصلت إلى أكثر من ٢٠ عاما.

وأشارت الدراسة إلى أن ثلث البريطانيين وصفوا أسرهم بأنها مختلة وظيفيا. فيما حمل ثمانية من بين كل عشرة منهم النساء مسؤولية وقوع أي خلاف عائلي. وأضافت أن الأمهات جنن أولا في ترتيب الجهة المرشحة أكثر للدخول في نزاع بين أفراد العائلة، وجاء الآباء في المركز الثاني والإخوة والشقيقات في المركز الثالث. ووجدت الدراسة أيضا أن الكثير من الخلافات العائلية لا تحل أبدا. واعترف خمس البريطانيين بأن أحد أفراد أسرهم ذهب إلى القبر من دون أن يحلّ الخلاف.

تري، هل ترين في هذا العنوان حقيقة إلى حد ما؟ أم أن الأمر لا يزيد عن اتهام جارح لنا نحن النساء بشكل عام؟ أنا نفسي أعرف عائلة أثار عليها انقطاع العلاقات فصارت عائلة غير فعالة أي مختلة وظيفيا. وهذا يعني أن العلاقات العائلية لم تعد متوفرة على النحو المعتاد. بالطبع لا يسعنا إلا أن نقول بأن هذا شيء يؤسف له فعلا. فعلاقات الإنسان العائلية إذا لم تكن صحيحة وسليمة، فكيف يمكن للعلاقات الأخرى أي علاقات خارج العائلة أن تكون صحيحة ومعافاة؟

إذن من الخلية الأولى في المجتمع ينطلق تحديد علاقات الأفراد فيما بعد. فإذا كان الجو في البيت وبين أفراد الأسرة الواحدة صحيحا وصحيا، كانت العلاقات السائدة صحيحة هي الأخرى ومعافاة. والعكس صحيح أيضا. فهل راجعتِ سيدتي المستمعة حساباتك في علاقاتك مع أفراد الأسرة؟ وكيف تقيمينها؟ هل هي سوية؟ وهل تحرصين حقا على الحفاظ عليها سليمة ومعافاة؟ أم تصيبين على النار زيتا كما يقول المثل العربي فتزيدين على الطين بلة؟

يخبرنا الكتاب المقدس كلمة الله الموحى بها عن الملك آخاب والملكة إيزابل، هذان الزوجان حكما شعب الله في القديم. وأمالت إيزابل قلب آخاب الملك فصار يعبد الوثن بدل أن يعبد الله الحي الحقيقي. ولم تكف بذلك بل راحت تلقي القبض على أنبياء الله وتصدر الحكم بقتلهم. كما أثارت المشاكل والنعرات بين الملك وبين الشعب، وحاولت أن توجه الشعب إلى ترك عبادة الله الحقيقي واتباع آلهتها. حتى إنها أضحت تلقب بإيزابل الشريرة... وأثرت تصرفاتها تلك على علاقاتها حتى مع أنبياء الله الحاملين رسالته في ذلك الزمان. وحصلت نزاعات عديدة وشجارات عنيفة أدت إلى ما لا تحمد عقباه. كما أثرت النزاعات التي اختلقتها على أفراد عائلتها. ولكن عاقبة إيزابل الشريرة كانت وخيمة جدا لأن الله أدانها دينونة فظيعة.

أما المرأة الفاضلة التي يريدنا الله أن نتبع مثالها يا سيدتي فهي التي تعرف كيف تدبر بيتها حسنا وتدير شؤون أهل بيتها بكل إيجابية وموضوعية بعيدة عن النزاعات والشجار. فيخبرنا النبي سليمان بوحى الروح القدس ويقول عنها: امرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلئ. بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة. تصنع له خيرا لا شرا كل أيام حياتها. تفتح فمها بالحكمة وفي لسانها سنة المعروف. يقوم أولادها ويطوبونها زوجها أيضا فيمدحها. إذن، فالمرأة الفاضلة هي المرأة الحكيمة التي تبتعد عن النزاع والخصام والشجار، فتدبر بيتها بالحكمة والمعرفة وتصنع الخير لا الشر. ويقول في مكان آخر أيضا: حكمة المرأة تبني بيتها والحماسة تهدمه بيدها.

والآن أي نموذج من الأمهات أنت سيدتي؟ ما أحراك أن تكوني أمّا حريصة على تنشئة أولادك التنشئة الحسنة وقيادتهم في الطريق الصحيح وفي علاقة صحيحة مع الله تعالى الذي هو مصدر كل حكمة وعلم ومحبة. فتربحين نفسك وعائلتك وعلاقاتك جميعها. عندها يقوم أولادك فيطوبونك وكذا زوجك فيمدحك..
